النوع الثاني
العصمة من الصغائر

الصغائر نوعان:

أ ـ صغائر الخسة التي تلحق فاعلَها بالأراذل، كسرقة حَبَّة أو لقمة والتطفيف بتمرة.

والأنبياء قبل البعثة: معصومون منها[1].

وبعد البعثة كذلك، فلا تصدر عنهم أصلاً لا عمداً ولا سهواً بالاتفاق[2].

ب ـ الصغائر الأخرى:

والأنبياء غير معصومين منها، قبل البعثة عمداً وسهواً.

أما بعد البعثة فهم معصومون منها عمداً، وتجوز سهواً، لكن لا يُصِرون عليها، ولا يقرون من الله تعالى عليها، بل يُنَبهون فيتنبهون. وعليه المحققون من المحدثين والسلف الصالح[3] لقوله ﷺ: «**إنما أنا بشرٌ أنسَى كما تنسَون؛ فإذا نسيت فذكِّروني**» أخرجه البخاري ومسلم[4] وغيرهما.

❋ ❋ ❋

أدلة عصمة الأنبياء

استدل العلماء على عصمة الأنبياء بأدلة كثيرة منها:

١ ـ لو صدر منهم الذنب، لحرم اتباعهم فيما يصدر عنهم، مع أن اتباعهم فرض وللإجماع، ولقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

٢ ـ لو أذنبوا لرُدّت شهادتهم، إذ لا شهادة لفاسق بالإجماع، ولقوله تعالى:

---

(١) شرح العقائد للتفتازاني وشرح الدَّوَّاني السابقان.

(٢) المواقف وشرح العقائد والوسيلة السابقة والمسامرة ص٢٣٣.

(٣) الدواني ج٢ ص٢٧٩ وشرح المقاصد ج٢ ص١٩٣ والمواقف وشرحه ص٥٦٨ ولوامع الأنوار ج٢ ص٣٠٤ والمسايرة والمسامرة عليها ص٢٣٢ وهناك أقوال أخرى في هذه المصادر وفي شرح العقائد ص١٣٦ والوسيلة ص٦٩٥.

(٤) المسايرة والمسامرة عليها ص٢٣٤. وقد تقدم تخريج الحديث آنفاً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ [الحجرات: ٦]، لأن مَن لا تُقبل شهادته في القليل الزائل من متاع الدنيا، كيف تُسمع شهادته في الدين القيم؟

٣ ـ إن صدر عنهم ذنب وجب زجرهم وتعنيفهم، لعموم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولا شك أن زجرهم إيذاء لهم، وإيذاؤهم حرام إجماعاً، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ [الأحزاب: ٥٧].

٤ ـ لو أذنبوا لاستحقوا العذاب واللوم والطعن، لدخولهم تحت قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]، وقوله سبحانه: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة: ٤٤]، لكن ذلك منتفٍ بالإجماع، ولكونه من أعظم المنفرات.

٥ ـ قوله تعالى في إبراهيم وإسحاق ويعقوب: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، فيتناول جميع الخيرات من الأفعال والتروك، وقوله: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ [ص: ٤٧] أي: من المصطفين الأخيار في كل الأمور، فلا يجوز صدور ذنب عنهم[(١)].

٦ ـ لو جاز عليهم أن يخونوا الله تعالى بفعل محرّم أو مكروه، للزم أن يكون ذلك المحرّم أو المكروه طاعة، لأن الله تعالى أمرنا بطاعتهم واتباعهم في أقوالهم وأفعالهم من غير تفصيل. فكل ما صدر منهم فنحن مأمورون به، وكل مأمور به، فهو طاعة، لأن الله تعالى لا يأمر بالفحشاء[(٢)].

وما نقل عن الأنبياء مما يشعر بمعصيته:

فما نقل بطريق خبر الآحاد فمردود، لأن نسبة الخطأ إلى الرواة أهون من نسبة المعاصي إلى الأنبياء.

وما نقل بطريق التواتر فيفسَّر:

بأنه نسيان أو زلّة،

أو بأنه حدث قبل البعثة،

---

(١) المواقف وشرحه ص٥٦٨ ـ ٥٦٩ وشرح المقاصد ص١٩٣ ـ ١٩٤ وفيهما أدلة أخرى لا نذكرها خشية الإطالة.

(٢) الدّرّة على الخريدة ص١٠٥ والباجوري على السُّنُوسية ص٤٢ و٤٣.

أو بأنه من الصغائر،

أو بأنه من قبيل ترك الأولى والأفضل[1].

وترك النبي ﷺ الأفضل إنما هو في الأمور التي لم يرد بها نص صريح. فهو يُعمل نظره وفكره، ويبذل وسعه أولاً، ومع ذلك فهو يخطىء فيعاتَب عندئذ على تركه الأفضل.

ومن النصوص التي تُشعر بمعاصي الإغواء:

أولاً: ما ورد في قصة آدم عليه السلام في القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١].

والعصيان من الكبائر، بدلالة قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [الجن: ٢٣].

والغواية اتباع الشيطان، لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢] وقوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة: ٣٦] واستحقاق الإخراج من الجنة بسبب إزلال الشيطان لهما، يدل على أن الصادر منهما كبيرة.

وخالف آدم النهي عن الأكل من الشجرة، وارتكاب المنهي عنه ذنب.

أجيب عنها:

بأن ذلك كان قبل البعثة، لأنه لم تكن له في الجنة أمة.

وكان ذلك عن نسيان، لقوله تعالى: ﴿فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥].

أو كان زلة وسهواً، حيث ظن آدم عليه السلام أن المنهي عنها شجرة بعينها، وقد قرب فرداً آخر من جنسها[2].

ثانياً: ما ورد في قصة موسى عليه السلام من قتله المصري ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥].

وقتله كان عدواناً، لقوله سبحانه: ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [القصص: ١٥] وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾ [القصص: ١٦].

وقوله عز وجل: ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٢٠].

---

(١) شرح المقاصد ج٢ ص١٩٤ وانظر: شرح العقائد للتفتازاني والعصام عليه ص١٣٦ ـ ١٣٧ والدَّواني ج٢ ص٢٧٩ عن شرح العقائد والمواقف وشرحه ص٥٦٩.

(٢) شرح المقاصد والمواقف وشرحه السابقان.

أجيب:

بأن تسجيل زلتهم يدل على:

١ ـ صدق الأنبياء، وأن ما يبلغونه يكون بأمر الله تعالى بلا إخفاء لشيء منه.

٢ ـ إن الأنبياء على جلالة قدرهم وكثرة طاعتهم، يلجؤون إلى الله تعالى دائماً بالاستغفار والتضرع في أدنى زلة، فعلى الناس ـ وهم أدنى مرتبة منهم بكثير ـ أن يتضرعوا إلى الباري كل حين.

٣ ـ إن الصغائر ليست مما يقدح في الإيمان، فلا تكفّر الإنسان[١].

❋ ❋ ❋

الصفة الثانية
التبليغ

هو إيصال الأحكام التي أُمروا بتبليغها إلى المرسَل إليهم[٢]، ليرشدوهم إلى سعادة الدنيا والآخرة، وكلٌ منهم لم يُخفِ عن الناس من ذلك شيئاً عمداً أو سهواً[٣].

وأقسام الموحى به ثلاثة:

١ ـ قسم أُمروا بكتمانه. فهو خاص بينهم وبين ربهم.

٢ ـ قسم خُيِّروا فيه بين التبليغ وعدمه.

٣ ـ قسم أُمروا بتبليغه.

وهذا القسم (الأخير) هو الذي بلّغوه إلى مَن أُرسلوا إليه، لأنهم مأمورون بتبليغه، لوجوبه عليهم[٤].

---

(١) شرح المقاصد ج٢ ص١٩٨.

(٢) الدَّرْدِير على الخريدة ص١٠٨.

(٣) رسالة في التوحيد للطائي ص٦٨.

(٤) الصاوي على الدردير ص١٠٩ ورسالة في التوحيد السابقة.

والدليل العقلي على وجوبه:

١ ـ أنهم لو كتموا شيئاً مما أُمروا بتبليغه للخلق، لكنا مأمورين بكتمان العلم، لأن الله أمرنا بالاقتداء بهم، مع أن الأحاديث صريحة في أن كاتم العلم ملعون[١].

٢ ـ أنهم لو كتموا شيئاً مما أُمروا بتبليغه، لكانوا خائنين، مع أنهم معصومون عن الخيانة[٢].

٣ ـ أنهم مبشرون ومنذرون، لقوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [النساء: ١٦٥] ولا يتم التبشير والإنذار إلا بالتبليغ.

٤ ـ لو أنهم كتموا ما أُمروا بتبليغه لكانوا ملعونين بنص الكتاب:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٥٩][٣].

والدليل النقلي:

قوله تعالى: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [المائدة: ٩٩].

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[٤] [المائدة: ٦٧].

❋ ❋ ❋

الصفة الثالثة
الفَطَانة

هي: التيقُّظ والتفطُّن وحِدّة العقل والذكاء وسدَاد الرأي.

فكل رسول ونبي تجب له هذه الصفة، فلا يجوز أن يكون مغفَّلاً أو بليداً أو أبله[٥].

---

(١) الباجوري على الجوهرة ج٢ ص٢٥.

(٢) الدردير ص١٠٨ ورسالة في التوحيد ص٦٩ ولوامع الأنوار ج٢ ص٣٠٨.

(٣) الدردير ص١٠٨ ـ ١٠٩.

(٤) الدردير ورسالة في التوحيد السابقان.

(٥) الدردير على الخريدة ص١٠٨ والباجوري على الجوهرة ج٢ ص٢٥ ولوامع الأنوار ج٢ ص٢٦٧.